الصبي في البيت

يجب أن نوفر له الهناء

كثيرا ما يندفع الآباء لما يشعرون به من حب عظيم لأبنائهم الى حثهم على المذاكرة . فلا يكاد الصبي يصل الى البيت محملا بحقيبته متعبا ينشد الراحة بالسكون أو تسلى بالتعب حتى تحثه أمه أو أبوه على الكف عن اللعب لكى يدرس ويحضر دروس الغد .

والوالدان فى هذه الغيرة على مستقبل أبنائهم إنما يندفعان بأسمى العواطف وأشرف العواطف ولكنهم مع ذلك غيرة فى غير موضعها . لأن الصبي يجب أن يستمتع بصباه وأن يعيش فى حصره وأن يلعب كما تلعب أطفال الحيوان . وكلما قد رأى " مرح الحياة " عند صغار الحيوان كيف تثب وتتصارع . ولو أن أحدا من الناس عمد الى جرو أو جحش أو مهر وحبسه ومنعه عن اللعب والجرى وراء أمه لاتهمناه بالقسوة والغلظة . ولكن هذا الذى نستكبره ونستفظعه فى معاملة الصغار من الحيوان نكاد نستهين به أو لا نباليه بتاتا فى معاملة صغارنا كأنهم حرموا من حقوق الحيوان .

ونحن لرجال نتأفف من أداء الواجبات المصلحية فى البيت ، ونعتقد أنه ليس من حق المصلحة أو المكتب أو المتجر الذى نعمل فيه ونكتسب منه معاشنا أن يكلفنا عملا نحمله معنا الى بيوتنا لكى نؤديه . لأننا نقصد الى البيت للراحة والاستئناس نتحدث ونتسامر ونتحاب ونخرج للتنزه أو للزيارة . فإذا كان هذا هو سلوكنا فيما يتعلق بعملنا وهوانا فلماذا نحمل على أبنائنا وننكر عليهم هذا اللهو الذى ننهو به ونحاسبهم على الساعة والدقيقة عقب رجوعهم من المدرسة ونح عليهم فى المذاكرة والدرس ؟

وهنا يرد الأب أو الأم فى حماسة شريفة : إنى أخشى أن يرسب فى الامتحان آخر العام وعندئذ يضطر الى تكرار السنة الدراسية . وفى هذا التكرار من النفقات فى الوقت والمال ما يعود عليه وعلىّ بأسوأ الأضرار .

وهذه حجة قوية لا يستطيع أحد إنكارها . فان مدارسنا تكلف تلاميذ " واجبات منزلية " يجب عليه أن يؤديها و يعود بها فى الصباح . بل حتى حين لا تكلفه هذه الواجبات يحتاج هو لكى يحتفظ بمكانته فى الفصل أو بدرجته السابقة فى المواد أن يقضى كثيرا من وقته وهو بالبيت فى المذاكرة . والعيب هنا على مدارسنا . فإن حصة الدرس كان يجب أن تكفى

التلميذ للفهم والنمو الدراسي . وهي إذا كانت لا تكفيه فلأن المعلم أساء الفهم أو لأن المواد الدراسية أكثر مما يتحمل عقل التلميذ . فالعلاج هنا هو النظر في كفاءة المعلم والنظر في ليقة المواد الدراسية كما وكيفا .

ولكن للأب يمكنه أن يسارع إلى الرد : ما شأني أنا وهذا الجدال ؟ فإن ابني سيتقدم لامتحانات قريبة وأنا مضطر إلى أن أنظر لمستقبله وأسعفه بكل ما في مقدوري من مال أو سلطة أو نصيحة لكي يجتاز المرحلة القادمة فيقتصد سنة من سني الدراسة .

والحجة هنا أيضا قوية لأن العذر واضح عند الأب . ولذلك لا يسع الكاتب في هذه الظروف إلا أن يدعو إلى الإصلاح التعليمي حتى لا يرهق التلاميذ بأداء واجبات مدرسية في البيت . ولكن في الوقت نفسه يجب أن ندعو الآباء إلى أن يخففوا من علوهم في غيرتهم على مستقبل أبنائهم بالاعتدال في مطالبتهم هم بالدرس في البيت. لأن الطفل يجب أن يستمتع بطفولته والصبي بصباه والرجل برجولته . والعمر التي تمضي من العمر لن تسترجع . وليس من الحق أن نضحي بالطفولة من أجل الرجولة ، ولا بالشباب من أجل الشيخوخة. ولكن مادمنا في ظروفنا الحاضرة فليس مفر من أن نواجه الواقع وأن نقول بضرورة إرصاد بعض الوقت في البيت للمذاكرة. و"بعض الوقت" فقط. أما سائر وقت التلميذ فيجب أن يرصد للاستمتاع. ولا يغب عن أذهاننا أن هذا الاستمتاع ، إذا كان نبرا يسترشد فيه الصبي بنصائح الأب الذكي ، فإنه هو الآخر يكون درسا بليغا في المعارف والأخلاق . ذلك أننا لا نتعلم من المدرسة عشر ما نكون قد عرفناه من المجتمع عند ما نبلغ سن العشرين . أجل إننا نتعلم من الشارع ومن المتجر ومن المكتب ومن المذياع ومن السينما توغراف ومن المجلة ومن الجريدة بل أيضا نتعلم من الهواية التي نتخذ في صبانا أو شبابنا .

وهذه الأسباب جميعها يجب أن تعامل الصبي في البيت ليس باعتبار أنه تلميذ فقط عليه أن يؤدي دروسه ، بل باعتبار أنه إنسان قبل كل شيء له حقوق الإنسان ، وربما كان أحسن ما نعامله به من هذه الناحية أن نشجعه على أن تكون له هواية خاصة يحبها ويتعلق بها ويشغف عليها . فهناك الصبي الذي يحب الزرع ويهوى شراء المقصريات التي تنمو في الزهور . وما أعظم ما يتعلم الصبي من هذه الهواية ! فإن بعضهم لم يخلق للشعراء وحدهم لكي ينظموا الأشعار في إطرائه ووصف ألوانه وعطوره . بل هو خلق أيضا للصبيان لكي يستمتعوا بجماله وأريجه ويتصلوا منه إلى زاوية من سر الوجود. ثم هناك تربية الحيوان. وأي شيء في الدنيا هو أجمل من ذلك الصبي الذي يشغف بتربية الأرانب أو الدجاج ويفرح

ذلك الفرخ الكامل برؤية الفرخ يخرج من البيضة أو الأرنب يرضع أمه؟ ثم هناك ذلك النجار الصغير الذى يقلقنا بالدق كى يصنع كرسيا أو مائدة أو خزانة بدائية . وقس على ذلك .

شتيت ذات مرة نحو ثلاثين بزرة مختلفة من بزور القرنفل والقرطم الى بزور الكتان والسمسم والقمح وعرضتها على الأطفال لكى يتشمموها ويعرفوها بالرائحة ولكى ينظروا إليها ويميزوها باللون والحجم . فكان لنا من هذا درس وتسلية . ثم زرعت هذه البزور فنبتت .

أجل . على كل أب أن يساعد أبناءه بهواية معينة يتعلقون بها حتى يلتذوا الحياة ويحبوا طفولتهم وينبهوا ذكاءهم ولا يسأموا عيشهم ، وهو يستطيع مع ذلك أن يساعدهم فى الرقى المدرسى . فهناك الأب الذى يحادث أطفاله باللغة المهذبة العالية التى يتعودون منها صحة المنطق وعذوبة اللفظ ودقة الأداء . وهناك الأب الذى يساعد أبناءه بالحديث عن السياسة والسياحة ويقص عليهم القصص وأحيانا يحدثهم باللغة الأجنبية التى يتعلمون فى المدرسة فيكون معلما محببا يتعلم منه الصبيان من حيث لا يدرون .

وغاية التعليم — بعد المعارف الفنية — إيجاد الشخصية الناجحة الناجعة ، والمدرسة وحدها لا تكفى لذلك ، فيجب أن يعامل الآباء أبناءهم وفى أذهانهم هذا المرمى البعيد وهو أن ينشأ الأبناء ممتازين بشخصيات ناجعة ، ولذلك يجب أن يحترم فراغ الصبى وتحترم هوايته ، وأن يعطى مصروفا معينا فى الشهر وان يقدم له اشتراك فى مجلة شهرية أو أسبوعية تنمى ذكاءه الصغير وأن يشجع على مراسلتها حتى يحس أنه فرد له آراء محترمة ، بل يمكن أن يكلف القيام بخدمة خفيفة معينة فى البيت تشعره بأنه عضو مشترك فى خدمة العائلة .

بهذا أو ذاك يحس الصبى وجوده بل يشعر بشخصيته ، أما إرهاقه بالدروس والإلحاح عليه بضرورة قضاء الوقت كله فى المذاكرة فليس من العدل به ولا من الفائدة له . فاننا نجهل المستقبل وقد لا يعيش الطفل على هذه الدنيا غير أيام طفولته فليس من حقنا أن نحرمه من الاستمتاع بها بدعوى أننا نهيئه للشباب . وقد لا يعيش الشاب غير أيام شبابه ، ومن الظلم الفادح أن ننكر عليه متع الشباب لكى يتهيأ للرجولة التى قد يموت قبل أن يبلغها . ويجب فى كل وقت ألا نبالغ فى قدرتنا على التكهن بالمستقبل الذى قد يقلب جميع تدبيراتنا ويجعلنا نأسف على تحميل أبنائنا واجبات كانت عناء لهم أيام الطفولة ثم لم ينتفعوا بها أيام الشباب والرجولة . واذا كان المجتمع الرقى يرى أن اللعب ضرورة للكبار فانه يجب أن يسلم أنه أكثر ضرورة للصغار .